مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

الغيبيات في سورة الغاشية – دراسة استنباطية

م. م. وفاء حسين عزيز
Wafaahussein389@gmail.com
ديوان الوقف السني /دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية

ABSTRACT
The unseen (al-ghayb) is a fundamental pillar of Islamic belief, and the Meccan surahs of the Qur'an abound with metaphysical references aimed at strengthening faith and prompting reflection on the Hereafter. This study explores the theme of al-ghayb in Surah al-Ghashiyah through an inferential and analytical approach, seeking to extract theological and educational meanings embedded within the Qur'anic text. It examines key representations of the unseen, including the vivid portrayal of the Day of Judgment, the fate of the righteous and the wicked, and the eloquent rhetorical devices used to convey these scenes. The research also highlights how the metaphysical elements of the surah contribute to nurturing internal moral awareness and reinforcing da'wah through spiritual and visual engagement. The study concludes that Surah al-Ghashiyah presents a comprehensive model of divine imagery, combining rhetorical depth with a unifying monotheistic message that appeals to both intellect and emotion.

الملخـــص
تُعدّ الغيبيات من الركائز الأساسية في العقيدة الإسلامية، وقد حفلت السور المكية في القرآن الكريم بإشارات مكثفة إلى عالم الغيب، بقصد ترسيخ الإيمان وتحفيز التفكير في المصير الأخروي. يهدف هذا البحث إلى دراسة الغيبيات في سورة الغاشية، من خلال منهج استنباطي وتحليلي يُعنى باستخلاص الدلالات العقدية والتربوية للنص القرآني. ويتناول البحث تجليات الغيب في السورة، مثل تصوير يوم القيامة، وأحوال أهل الجنة والنار، والأساليب البلاغية المؤثرة التي وظفها الخطاب القرآني. كما يسلّط الضوء على الأثر التربوي للغيبيات في بناء الوازع الإيماني، وتعزيز الدعوة بأسلوب بصري وروحي عميق. وتخلص الدراسة إلى أن سورة الغاشية تمثل نموذجًا متكاملًا في عرض الغيب ضمن سياق بلاغي توحيدي يربط العقل والوجدان بمصير الإنسان.

أولًا: المقدمة

تمثل الغيبيات أحد المرتكزات الأساسية التي يقوم عليها البناء العقدي في الإسلام، إذ لا يكتمل إيمان المسلم إلا بالتصديق الكامل بما غاب عن الحواس وأخبر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، سواء ما كان متعلقًا بالماضي الغابر، أو الحاضر الغيبي، أو المستقبل الأخروي. وقد أولى القرآن الكريم عناية كبيرة لهذا الجانب، فجعل الإيمان بالغيب أول صفات المتقين كما في مطلع سورة البقرة: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ)، وبثّ في آياته مشاهد متعددة لعوالم لا تُدرك بالحواس، مثل مشاهد يوم القيامة، وأوصاف الجنة والنار، وأحوال النفوس بعد الموت.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

وتأتي سورة الغاشية في هذا السياق التوجيهي، بوصفها من السور المكية التي تهدف إلى إثارة الوجدان وبناء التصور العقدي من خلال عرض غيبي مؤثر، يعكس عمق الرسالة التوحيدية التي كان ينادي بها النبي ﷺ في بيئة يغلب عليها الطابع المادي والموروث الوثني. فالسورة تصور مشاهد يوم القيامة تصويرًا بليغًا حيًّا، وتنتقل بين أهوال المصير، وسكينة النعيم، لتخاطب العقل والقلب معًا، بأسلوب إنشائي وتقريري وتحذيري. ومن هنا، يهدف هذا البحث إلى الوقوف عند هذه المشاهد الغيبية، وتحليلها في ضوء المنهج الاستنباطي والبلاغي، لاستخلاص ما فيها من دلالات عقدية وتربوية تعزز الإيمان، وترسخ القيم الدعوية.

ثانيًا: أهداف البحث

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف الآتية:

١. بيان تجليات الغيبيات في سورة الغاشية من خلال تحليل المشاهد المرتبطة بالآخرة.
٢. تحليل الأبعاد العقدية والتربوية للمضامين الغيبية التي تتناولها السورة.
٣. استنباط الدلالات العقائدية الكامنة في الخطاب القرآني المتعلق بالغيب ضمن السورة.
٤. إبراز العلاقة بين الأسلوب البلاغي في السورة والمعاني الغيبية، وتأثيرها في بناء الوعي الإيماني.

ثالثًا: إشكالية البحث

تنطلق إشكالية البحث من التساؤل المحوري الآتي:

كيف عالجت سورة الغاشية موضوع الغيب؟

وما الأثر العقدي والتربوي الذي أحدثته المضامين الغيبية الواردة فيها في تعزيز الإيمان باليوم الآخر، ودفع المخاطب إلى التفكر في المصير والبعث والجزاء؟

ويندرج تحت هذا التساؤل عدد من الإشكالات الفرعية، منها:

- ما طبيعة الغيبيات المعروضة في السورة؟
- كيف وُظفت الأساليب البلاغية في تجسيد تلك الغيبيات؟
- وما الدور الذي تؤديه هذه الغيبيات في تقويم السلوك الإنساني من منظور قرآني؟

رابعًا: الدراسات السابقة

تناولت العديد من الدراسات موضوع الغيبيات في القرآن الكريم من زوايا مختلفة، نظرًا لما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في بناء العقيدة الإسلامية. وقد تعددت مقاربات الباحثين بين ما هو عقدي، وتربوي، وبلاغي، وهو ما يشكل أساسًا معرفيًا غنيًا يمكن الاستفادة منه في دراسة الغيبيات في سورة الغاشية. وفيما يلي عرض لأهم الدراسات ذات الصلة:

١. دراسة بعنوان" :عالم الغيب وأحكامه في ضوء العقيدة الإسلامية"

للباحث: د. محمود ماهر عبده سيد – كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر

تناولت هذه الدراسة مفهوم الغيب باعتباره أحد مكونات الإيمان الستة، وقامت بتفصيل أنواعه بين الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله، والغيب النسبي الذي يمكن للإنسان إدراكه بأدوات معينة أو بإخبار الأنبياء. كما ناقشت الدراسة علاقة الغيب بالعقل، وخطورة ادعاء علم الغيب من قبل المنجمين والكهنة، موضحة الأحكام الفقهية المتعلقة بذلك.

علاقة الدراسة ببحثنا:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

تقدم هذه الدراسة خلفية عقدية صلبة حول مفهوم الغيب، وتُعد مصدرًا تأسيسيًا لفهم الغيب من منظور عقائدي عام. ومع أن الدراسة لم تتناول سورًا قرآنية محددة، إلا أن إطارها النظري يدعم توجه بحثنا في تفسير الغيبيات ضمن السورة من منطلق إيماني.

٢. دراسة بعنوان" :الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم وأثره في مسائل الاعتقاد"

للباحث: فتحي الحوفي – منشورة في مجلة الجامعة القاسمية للعلوم الشرعية

تناول الباحث الإعجاز الغيبي بوصفه نوعًا من أنواع الإعجاز القرآني، مبرزًا أشكال الإخبار بالغيب في الماضي (قصص الأنبياء والأمم السابقة)، والحاضر (ما لا تراه الحواس كعالم الملائكة)، والمستقبل (القيامة والجنة والنار). وقد ركزت الدراسة على أثر الإعجاز الغيبي في ترسيخ الإيمان، وإثبات صدق النبوة، وربط العقيدة بالغيب كوسيلة دعوية.

علاقة الدراسة ببحثنا:

هذه الدراسة تشكّل امتدادًا لموضوع الغيب في القرآن من زاوية الإعجاز والإثبات العقدي، وتلتقي مع بحثنا في التركيز على الغيب الأخروي، إلا أنها لم تُفرد سورة الغاشية بالدراسة، مما يجعل بحثنا مساهمة نوعية في تحليل غيب محدد ضمن بنية سورة مكية قصيرة ومركّزة.

٣. دراسة بعنوان" :الإعجاز الغيبي في القرآن الكريم: دراسة تطبيقية"

منشورة على منصة ResearchGate

تركزت هذه الدراسة على الجانب التطبيقي من الإعجاز الغيبي، حيث استعرضت عددًا من الآيات التي تنبأت بوقائع مستقبلية ثم تحققت لاحقًا، مثل انتصار الروم، وتحقق وعد الله للنبي، وبعض مشاهد يوم القيامة. كما ناقشت الدراسة دور الإعجاز الغيبي في بناء اليقين لدى المؤمن، وتأثيره في الدفاع عن الإسلام في مواجهة الشكوك.

علاقة الدراسة ببحثنا:

رغم أنّ هذه الدراسة تناولت نماذج تطبيقية من الإعجاز الغيبي، فإنها لم تخصص السورة موضوع البحث (الغاشية)، ولم تُركّز على الأساليب البلاغية، مما يُبرز تفرّد بحثنا من حيث تخصيصه لسورة الغاشية، وتحليله الدلالي والبلاغي المتكامل لمشاهد الغيب فيها.

خامسًا: منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج **الاستنباطي** في تحليل النص القرآني، لاستخلاص المعاني الغيبية الكامنة في آيات السورة، فضلًا عن توظيف المنهج **التحليلي الموضوعي** الذي يُعنى بتفكيك المفردات والتراكيب القرآنية ضمن سياقها الدلالي والعقدي. كما يستعين البحث بالمنهج **البلاغي** في رصد الظواهر الفنية والأسلوبية التي استُخدمت في عرض الغيب، وتحليل تأثيرها في المتلقي. وتتكامل هذه المناهج الثلاثة لتقديم قراءة متعمقة لمضامين السورة من منظور إيماني وتربوي.

سادسًا: حدود البحث

- **الحدود الموضوعية :**يقتصر البحث على دراسة الغيبيات فقط كما وردت في سورة الغاشية، دون التوسع في الموضوعات التربوية أو الاجتماعية الأخرى الواردة فيها.
- **الحدود المكانية :**يركز البحث على سورة الغاشية فقط دون تناول سور أخرى، باستثناء ما يقتضيه السياق من إشارات مقارنة محدودة.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

المبحث الأول

المفهوم العام للغيب في التصور القرآني

يشكل الغيب محورًا أساسيًا في البناء العقدي الإسلامي، ويُعد الإيمان به أول صفات المتقين التي ذكرها القرآن الكريم في سورة البقرة. ولا يمكن فهم الرسالة القرآنية في بعدها العقائدي والروحي دون التوقف عند دلالة الغيب وموقعه من الفكر الإيماني. فالغيب ليس مجرد مكوّن عقلي نظري، بل هو منظومة متكاملة من المعاني التي تتعلق بعلاقة الإنسان بالله، وبمآله، وبما وراء إدراكه الحسي. وهذا ما يجعل دراسة الغيب ضرورة لفهم الخطاب القرآني وخصوصًا في السور المكية التي اهتمت بتثبيت العقيدة وتوجيه النفوس نحو الإيمان بالمصير الأخروي والجزاء والبعث. وسنبدأ هذا المبحث بتحديد معنى الغيب في اللغة والاصطلاح، قبل الانتقال إلى تصنيف أنواعه كما وردت في القرآن الكريم، ثم بيان موقعه في السياق العقدي والدعوي للسور المكية. (١)

المطلب الأول: تعريف الغيب في اللغة والاصطلاح

أولًا: الغيب في اللغة

الغيب في اللغة يُطلق على كل ما غاب عن الحواس ولم تبلغه العيون ولا وقع تحت الإدراك المباشر. وقد اتفق أئمة اللغة على أن أصل الكلمة يدل على الستر والخفاء والتواري .فقيل: "الغيب خلاف الشهادة"، أي أنه في مقابل ما يُرى ويُشاهد. ويُشتق منه أيضًا لفظ "الغابة"، لما فيها من كثافة تواري ما بداخلها، ولذا قيل: "كل شيء غيّب عنك شيئًا فهو غيابة". ويُلاحظ أن أصل المعنى يتصل بما لا تراه العين، وإن كان موجودًا في الواقع، مما يضفي على الغيب دلالة عميقة تتجاوز حدود الإدراك الحسي.

وفي "لسان العرب" لابن منظور، ورد أن الغيب هو: "ما غاب عن العيون وإن كان محصَّلًا في القلوب"، أي أن الغيب هو ما لا يُبصر بالبصر ولكن قد تدركه البصيرة أو يُصدَّق به اعتمادًا على مصدر موثوق. ويتبين من ذلك أن المفهوم اللغوي للغيب يقوم على نفي الرؤية المباشرة، لكنه لا ينفي الوجود أو الحقيقة. وهذا ما يجعل الغيب في الرؤية القرآنية ليس إنكارًا للعقل أو تجاوزًا للمنطق، بل هو إيمان بما هو صادق المصدر، موثوق الإخبار. (٢)

ثانيًا: الغيب في الاصطلاح

أما من الناحية الاصطلاحية، فإن الغيب في التصور الإسلامي يُفهم على أنه: كل أمر لا تدركه الحواس، واستأثر الله تعالى بعلمه، أو أطلَعَ عليه بعض خلقه بوحي أو إلهام. وهذا التعريف ينبني على نصوص كثيرة تؤكد أن الغيب خاصّ بالله، ولا يطلع عليه أحد إلا من ارتضاه الله من رسله. وقد عرّف الإمام القرطبي الغيب بأنه: "كل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم مما لا تهتدي إليه العقول"، مثل: أشراط الساعة، عذاب القبر، البعث، الصراط، الميزان، الجنة، النار، وكل ما أخبر به الوحي مما لا يُدرك بالحواس. (٣)

ويتوسع هذا التعريف في الرؤية القرآنية ليشمل كافة الأمور العقدية التي لا تقع تحت الإدراك المباشر، وتحتاج إلى تسليم وتصديق، ومنها: الإيمان بالله ذاته، وصفاته، وأسمائه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. وهذه القضايا، وإن كانت غائبة عن الحواس، إلا أن الوحي أكدها، فصارت واجبة التصديق.

وقد ورد الإيمان بالغيب في أول ما نزل من السور المدنية، في قول الله تعالى:

(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة: ٣]

وهذه الآية تُبرز مكانة الغيب في بنية الإيمان، حيث جعله القرآن أول صفة من صفات المتقين. وقد فسر الطبري الغيب هنا بأنه يشمل: الجنة، والنار، والبعث، والحساب، والملائكة، والكتب، والرسل، وكل ما

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

أخبر الله به مما غاب عن العيون. وذهب بعض المفسرين إلى أن المراد بالغيب هنا أيضًا هو: الله تعالى نفسه (لأنه لا يُرى)، أو القرآن الكريم (لأنه من عالم الغيب)، أو القدر وما يحتويه من أمور مستقبلة مكتوبة.
وقد رجّح ابن كثير أن كل هذه الأقوال ترجع إلى معنى واحد، هو: الإيمان بما غاب عن الإنسان ولم يدركه بالحواس، وإنما ثبُت له بطريق الخبر الصادق من الله أو رسوله، وبهذا يكون الغيب شاملًا لكل ما لا سبيل إلى معرفته إلا عبر الوحي، يمكن القول إن الغيب في الاصطلاح الشرعي هو: كل أمرٍ محجوب عن علم البشر، لا يمكن الوصول إليه بالحس أو العقل المجرد، ويكون طريق معرفته الوحيد هو الوحي الإلهي.
ويدخل في ذلك أصول الإيمان، والغيب الأخروي، والحقائق الكونية غير المرئية، وأحوال البرزخ، والجن، والملائكة، وغيرها من الأمور التي أُمر الإنسان بالإيمان بها دون أن يراها. [٤]
ويُضاف إلى ذلك الغيب المطلق الذي لا يعلمه أحد من الخلق مهما بلغ من الفهم أو الرقي، وهو ما اختص الله به وحده، كعلم الساعة، ومقادير الأمور، ومفاتيح الغيب التي جاءت في قوله تعالى:
(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) [الأنعام: ٥٩]
ومن خصائص الغيب في التصور القرآني أنه ليس مجرد مجال للتأمل أو الظن، بل هو جزء من منظومة العقيدة التي تستوجب الإيمان والتسليم. كما أن الغيب مرتبط بالمقابل وهو "الشهادة"، أي عالم الحس والمشاهدة، ولذلك كثيرًا ما يقترن ذكرهما في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى:
(عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) [الزمر: ٤٦]
وهذا الاقتران يُظهر شمول علم الله تعالى، وأنه محيط بكل شيء، سواء أكان ظاهرًا أم خفيًّا. فهو يعلم ما يُبطنه الإنسان في صدره، وما تُخفيه العيون من نظرات خائنة، كما في قوله تعالى:
(يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ) [غافر: ١٩]
وفي مقابل علم الله المحيط، يبرز عجز الإنسان عن معرفة الغيب إلا بوساطة الوحي أو ما يأذن الله به من علم. وقد صرّح النبي ﷺ في القرآن بهذه الحقيقة، حين قال له ربه:
(قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ) [الأنعام: ٥٠]
وفي ذلك بيان أن النبي، رغم كماله البشري، لا يعلم الغيب إلا ما أطلعه الله عليه. وهذا ما يثبت أن معرفة الغيب حقٌّ لله وحده، وأنه جزء من ألوهيته، وأن ادعاء البشر علم الغيب هو نوع من التعدي على خصائص الربوبية. [٥]

المطلب الثاني: تصنيف الغيبيّات في القرآن الكريم

لقد أولى القرآن الكريم عناية فائقة بمسألة الغيب، وضمن مضامينه إشارات متعددة إلى أنواعه وتجلياته وأغراضه. ويمكن تصنيف الغيبيّات التي تناولها القرآن وفق طبيعتها ومصدر العلم بها إلى أربع فئات رئيسة، هي: الغيب المطلق، والغيب النسبي، والمغيّبات العقدية، والمغيّبات التي كشفها الوحي. وكل صنف من هذه الأصناف له خصائصه ووظيفته في البناء العقدي والإيماني، وسنتناولها على التوالي: [٦]

أولًا: الغيب المطلق (ما اختصّ الله تعالى بعلمه)

الغيب المطلق هو ما استأثر الله تعالى بعلمه ولم يجعل لأحد من خلقه سبيلًا إلى معرفته أو الإحاطة به. ويُعد هذا النوع من الغيب من خصوصيات الألوهية، لا يمكن إدراكه لا عن طريق الحواس ولا بالتجربة، بل هو محجوب حجبًا تامًا عن الخلق، كما ورد في قوله تعالى:
(قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ) [النمل: ٦٥].
ومن أوضح صور هذا النوع من الغيب ما يُعرف في الحديث الشريف بـ"مفاتيح الغيب الخمس"، والتي ورد ذكرها في قوله صلى الله عليه وسلم:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

"مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما في الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى تمطر إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله".

وتشمل هذه المفاتيح علم الزمن (موعد الساعة، موعد الوفاة، نزول المطر)، وعلم المكان (مكان الموت)، وعلم المآل (ما في الأرحام من قدر وأجل ورزق). وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه المفاتيح في قوله:

(وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ) [الأنعام: ٥٩].

وقد فسّر الإمام الطاهر بن عاشور هذه المفاتح بأنها خزائن علمٍ خاص بالله، لا يدركه عقل بشري ولا يكشفه إلا ما شاء الله أن يُطلع عليه بعض خلقه لحكمة مخصوصة. فالغيب المطلق يشمل علم الله بذاته، وصفاته، وحقيقة أسمائه، وما خفي من أقدار الخلق، وما هو مستقبلي محض لم يُكشف منه شيء.

ويمثل هذا النوع من الغيب أحد الأصول الكبرى التي تُعرّف المؤمن بمحدودية قدراته أمام العلم الإلهي، وتدعوه إلى التسليم والتواضع أمام المشيئة الإلهية. ومن وظائفه التربوية كذلك: تهذيب النفس من الغرور المعرفي، وتربية الإنسان على الإيمان المطلق، دون اشتراط الدليل الحسي. (٧)

ثانيًا: الغيب النسبي (ما يُدرك بحسب الزمان أو الأشخاص)

الغيب النسبي هو ما يكون غائبًا عن إدراك بعض الناس، أو عن بعض الأزمنة، ولكنه حاضر لدى غيرهم أو في زمن لاحق. فهو غيب من زاوية معينة، وشهادة من زاوية أخرى، ويتغير تصنيفه حسب موقع الإنسان من الحدث أو من المعلومة. ومن الأمثلة الواضحة على ذلك: ما يقع الآن في بلد بعيد؛ هو غيب بالنسبة لنا لكنه شهادة لمن يعيش فيه.

ومن الأمثلة القرآنية لهذا الغيب: القصص القرآني الذي تضمّن أخبار الأمم السابقة التي لم يكن عرب الجاهلية على دراية بها. فبالنسبة لهم كانت هذه الأخبار غيبًا، أما بالنسبة للمؤمنين الذين تلقوا القرآن، فقد أصبحت شهادة موثقة بالوحي، كما في قوله تعالى:

(ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) [آل عمران: ٤٤].

وكذلك يشمل الغيب النسبي ما يمكن للعلم والتجربة أن يكشف عنه لاحقًا، كأسرار الكون، أو ظواهر الطبيعة التي كانت في الماضي مجهولة، ثم أدركها الإنسان بالوسائل العلمية، مثل التنبؤات المناخية أو التشخيصات الطبية المتقدمة. لكنها رغم ذلك لا تُعد من الغيب المطلق الذي لا يُكشف إلا بوحي، بل تبقى ضمن دائرة الغيب النسبي المرتبط بأدوات الإدراك البشري. (٨)

ومن أبرز صور الغيب النسبي في القرآن ما يُطلع الله عليه بعض عباده الأنبياء والرسل من خلال الوحي، ويُسمى ذلك في بعض الآيات "كشف الغيب عن طريق الاصطفاء"، كما في قوله تعالى:

(عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ) [الجن: ٢٦-٢٧].

فمن هذا الباب، أطلع الله أنبياءه على بعض الغيبيات المتعلقة برسالاتهم وأقوامهم، مثل البشارات، والفتوحات، ونهاية المعاندين، وأشراط الساعة. وهذا النوع من الغيب لا يُعطى إلا بوحي، ولا يتجاوز حد ما أُذن به، فلا يكون علمًا كليًا، بل اطلاعًا جزئيًا لمقاصد الرسالة.

ثالثًا: الغيبيات المتعلقة بالعقيدة والإيمان

تشكل هذه الفئة جوهر الغيبيات التي يدور حولها التصور القرآني والإيماني، وتشمل كل ما يجب على المسلم الإيمان به دون أن يراه، وقد أخبر الله به في كتابه أو على لسان رسوله. وتشمل هذه الفئة:

الإيمان بالله عز وجل: وهو إيمان بالذات الإلهية الغيبية، التي لا تُدرك بالحواس ولا يراها الإنسان في الدنيا، ومع ذلك يجب الإيمان بها وفقًا للدلائل العقلية والنقلية.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

الإيمان بالملائكة والجنّ وعوالم الأرواح: وهي مخلوقات غيبية لا تُرى، لكنها حاضرة في النصوص الشرعية، وتؤدي أدوارًا جوهرية في التقدير والكتابة والمراقبة.

الإيمان باليوم الآخر والجنة والنار: وكل ما يتعلق بالبعث، والحساب، والصراط، والميزان، وما أُعدّ للمؤمنين والمكذبين. (٩)

الإيمان بالقدر خيره وشره: أي الاعتقاد بأن كل ما يحدث في الكون إنما يقع بعلم الله وإرادته وتقديره السابق ويظهر أثر هذه الغيبيات في صياغة السلوك الإيماني للمؤمن، فقد أثنى الله تعالى على الذين "يخشون ربهم بالغيب" أي دون أن يروه، كما في قوله:

(إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) [الملك: ١٢].

وهذه الصفة تعني أن المؤمن الحقّ يُقيم علاقته مع الله على أساس الإيمان بالغيب، فيراقبه ويخشاه ويعبده دون أن يراه، وهذا هو المقام الأعلى في الإيمان، كما ورد في تعريف الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. (١٠)

وقد عاب الله الكافرين لأنهم لا يؤمنون إلا بما يرونه، ولا يصدقون إلا بالمحسوس، فقال عنهم:

(وَيَقُولُونَ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا... وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ) [الجاثية: ٢٤].

وهذا دليل على أن الاقتصار على الشهادة دون الغيب يؤدي إلى خلل في التصور العقائدي، يجعل الإنسان رهينًا للماديات، غافلًا عن المآلات.

رابعًا: الغيبيات التي كشفها الوحي

وهي الغيبيات التي لم يكن للناس سبيل إلى معرفتها لولا أن الوحي أطلعهم عليها، وهي إما أن تكون من الماضي البعيد، أو من المستقبل الذي لم يقع بعد، أو من حقائق الملكوت العليا. ومن أمثلتها:

القصص القرآني: كقصة آدم وإبليس، وقصص الأنبياء مع أقوامهم، حيث يقول الله تعالى مرارًا:

(تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) [هود: ٤٩].

الحقائق المستقبلية: كأشراط الساعة، وأحداث القيامة، ووعود الله للمؤمنين بالنصر، والكافرين بالعذاب، كما في قوله تعالى:

(غُلِبَتِ الرُّومُ ۝ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ) [الروم: ٢-٤].

الوحي القرآني نفسه: فقد وصف الله نبيه في معرض الثناء بأنه لا يُضنّ بما أُوحي إليه من الغيب، فقال:

(وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) [التكوير: ٢٤].

فالنبي ﷺ كان مؤتمنًا على وحي الغيب، مبلّغًا إياه للناس دون تحريف أو كتمان. وقد روى قتادة أن "هذا القرآن غيب، أعطاه الله محمدًا ﷺ، فأبلغه الناس كما هو، دون نقص أو زيادة".

وتُعد هذه الغيبيات التي كشفها الوحي من أعظم الأدلة على صدق الرسالة، إذ لا يمكن لبشر أن يعرف هذه الأمور لولا أن الله أوحاها إليه. (١١)

المطلب الثالث : الغيب في السور المكية – السياق العقدي والدعوي

أولى القرآن المكي (المنزل قبل الهجرة) عناية فائقة بغرس الإيمان بالغيب في نفوس المخاطبين، نظرًا لدور هذا الإيمان في تأسيس العقيدة الصحيحة وتثبيت دعائم الدعوة. ففي مكة واجه النبي ﷺ قومًا ماديين لا يؤمنون إلا بالمحسوس، فكان لا بد في مرحلة التأسيس العقدي من التركيز على بُعد الغيب لربط القلوب بالله وباليوم الآخر وجعل الإيمان بهما فوق الرؤية المباشرة. ويتجلى السياق العقدي والدعوي للحديث عن الغيب في السور المكية في جوانب عديدة، منها: (١٢)

١. توحيد الله وتنزيهه بعلمه للغيب:

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

أكدت السور المكية مرارًا انفراد الله تعالى بعلم الغيب، وذلك لتقرير عقيدة التوحيد وردع المشركين عن دعوى مشاركة أصنامهم لله في أي قوة أو علم. فخاطب القرآن المشركين متحدّيًا: (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ) – أي أم عندهم لوح العلم الخفي فيدوّنون منه ما يشاؤون؟! – والمراد نفي أن يكون لدى الكفار أي مصدر خفي للعلم يؤهلهم لمعارضة الدعوة. ومثل ذلك قوله تعالى في سورة الطور مخاطبًا منكري الرسالة: (أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ) ثم (أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ) ثم (أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ). هذه الأسئلة الإنكارية في سورة مكية تقطع بأن علم الغيب من خزائن الرب وحده، وليس للمشركين طريق إليه حتى يعارضوا الحكم الإلهي أو ينكروا وعيد الآخرة. وبهذا الأسلوب قرر القرآن عقيدة علم الله المحيط في مواجهة ضلالات الشرك؛ فكما انفرد بالخلق والملك، انفرد بالعلم الكامل الذي لا تخفى عنه خافية (وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ). (١٣)

٢. إثبات النبوة عن طريق الغيب:

استدلت الدعوة المكية على صدق النبي ﷺ بإخباره عن أمور من الغيب لا سبيل له أن يعلمها لولا الوحي.

فقصص الأنبياء السابقين التي نزلت في السور المكية جاءت خطابًا لقريش بأن هذا نبأ غيب ما كان لمحمد ولا لقومه علمٌ به قبل القرآن: (تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا). وكذلك في ختام قصة يوسف: (ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ) – وكلتاهما من سور مكية – لإقامة الحجة بأن القرآن وحي من العليم الخبير، وليس أساطير أو منقولات بشرية. كما تحدّى القرآن المشركين في مكة بأخبار الغيب المستقبلية، مثل انتصار الروم القريب رغم هزيمتهم (سورة الروم)، وصدَق الوعد فوقع الحدث، فكان ذلك برهانًا آخر أن هذا الوحي متصل بعلم الله الغيبي. إذًا وظيفة الغيب هنا دعوية: إقناع المدعوين بصدق الرسالة عبر الإخبار بالغيب الماضي والمستقبل على حد سواء. (١٤)

٣.تربية المؤمنين على الإيمان العميق والصبر:

حملت السور المكية توجيهات تربوية للمؤمنين ترتبط بالإيمان بالغيب وثماره السلوكية. فقد نزلت آيات كثيرة تغرس في القلوب يقينًا بوعد الله ووعيده، رغم أن تحقيق الوعد أو نزول الوعيد أمر مستقبلي غيبي. على سبيل المثال، كررت السور المكية مشاهد يوم القيامة والجنة والنار بشكل حيّ كأن السامع يراها رأي العين، لتجعل المؤمن يوقن بالآخرة إيقان المشاهد. وهذا اليقين بالغيب يدفعه للصبر والثبات في وجه أذى المشركين، طمعًا في ما أعدّ الله له من نعيم، وخوفًا من وعيده. يقول تعالى في سورة فصلت مخاطبًا أهل الإيمان في مكة: (إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا... أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ) – فالبشارة بالجنة المستقبلية تهوّن عليهم شدائد الواقع. ومثلها قوله: (إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) حيث ربط بين خشية الله دون رؤيته وبين عظيم الأجر المنتظر، لتربية النفس على مراقبة الله سرًا وعلانية. وهكذا يتضح البعد التربوي: فالإيمان بالغيب يصنع شخصية المؤمن التي تعمل للآخرة كأنها تراها، وتتقي المعاصي كأن النار أمامها، وتتوكل على الله في الشدة وهو وحده المنجّي.

٤. مواجهة مطالب المشركين المادية:

في السياق الدعوي بمكة، كثيرًا ما طالب المشركون النبيَّ ﷺ بخوارق حسية وآيات مادية قبل أن يصدقوه، لأنهم ينكرون الغيب. فجاء الرد القرآني يربط تحقق الآيات بإرادة الله وعلمه بالغيب. قالوا مثلًا: (لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ) أي علامة حسية مباشرة، فجاء الجواب: (فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا) – أي إن أمر الآيات والمعجزات مردّه إلى الله وعلمه الحكيم بالغيب، وليس اقتراحًا بشريًا وفق أهوائكم. وهذا تعليم للداعية والمؤمنين بأن سنة الله أن يَبقى باب الإيمان بالغيب مفتوحًا اختبارًا للقلوب؛ فلو أجابهم الله بكل ما اقترحوا من معجزة لما بقي مجال للإيمان الاختياري. ولذلك قال تعالى في سورة الأنعام (وهي مكية):

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

(وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ) (أي ليشاهده الجميع)، فردّ: (وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ) أي لانتهى الاختبار. فالمشركون بإنكارهم للغيب واشتراطهم رؤية كل شيء حِسًّا فوتوا على أنفسهم فرصة الإيمان الصادق، فجاءت السور المكية تصحح هذا المنهج، وتبين أن الرسالة هدايتها تقوم على الإيمان بالله دون رؤيته والإيمان بوعده قبل وقوعه، ومن انتظر الرؤية الحسية فقد يفوته الأوان (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا). ومن هنا نفهم لمَ كان السابقون إلى الإسلام في مكة هم أكثر الناس يقينًا وثباتًا: لأنهم آمنوا بالغيب اعتمادًا على ثقتهم بالله ورسوله، لا طلبًا لمشاهدة المعجزات المادية. وقد أثنى القرآن على هذا الإيمان بالغيب المستند إلى التدبر والبصيرة لا المشاهدة، فقال عن المؤمنين: (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ... أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ). (١٥)

٥. **تركيز خطاب الدعوة على اليوم الآخر:**

من أبرز معالم السور المكية كثرة حديثها عن يوم القيامة وأهواله والجنة والنار. وهذا لأن الإيمان بالآخرة ركن أساسي من أركان العقيدة، وهو غيب مستقبل لا دليل عليه إلا خبر الوحي. لقد كان مجتمع مكة غارقًا في إنكار البعث، منشغلًا بالدنيا، فجاءت الآيات المكية تهزّ وجدانهم بصور الأخرة المفزعة: مشاهد البعث في سور مثل النّبأ، والنازعات، والتكوير، والانفطار، والقارعة وغيرها. كل هذه السور المكية القصيرة مكثفة بالإنذار الغيبي، (١٦) لتخترق عناد المشركين وتوقظ فيهم الفطرة بالإيمان بما وراء الحياة الدنيا. وكذلك زخرت السور المكية بوصف جنان النعيم للمؤمنين الصادقين، ترغيبًا للمستضعفين الذين صدّقوا بالغيب رغم قسوة الواقع. فهذا التركيز العقدي على الغيب الأخروي كان عنصرًا جوهريًا في دعوة النبي ﷺ بمكة؛ إذ به نقل الناس من رؤية الدنيا الزائلة إلى رؤية الآخرة الباقية بعين اليقين. ولذلك لمّا استقر هذا الإيمان في القلوب المكية وصاروا يعبدون الله كأنهم يرونه، هان عليهم ترك أموالهم والهجرة في سبيل الله، لأن ما عند الله من الجزاء خيرٌ وأبقى.

المبحث الثاني

تجليات الغيبيات في سورة الغاشية

تُعدّ **سورة الغاشية** (السورة رقم ٨٨) من السور المكية التي تناولت موضوع الغيبيات بأسلوب بلاغي مؤثر، جعلها إحدى السور التي تهزّ الوجدان وتستحثّ الفكر والعقيدة. فالمتأمل في بنية السورة يجدها قائمة على محور واحد هو **الحديث عن اليوم الآخر ومشاهده الغيبية**، حيث يستعرض القرآن الكريم من خلالها حال الناس يوم القيامة، من فريق خاشع معذّب، إلى فريق ناعم منعّم، مما يجعل منها لوحة تصويرية لعالم ما وراء المحسوس.

افتُتحت السورة بصيغة استفهامية بليغة :**(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)**، وهو استفهام تقريري يُراد منه التشويق، والتنبيه إلى ما سيُذكر بعده من مشاهد عظيمة تتعلق بيوم القيامة. وقد فسّر علماء التفسير لفظ "الغاشية" بأنه **اسم من أسماء يوم القيامة**، وسميت بذلك لأنها تغشى الناس بأهوالها وشدائدها، فتعمهم أهوال ذلك اليوم حتى لا ينجو منها أحد. ويقول الإمام الطبري إن "الغاشية" مأخوذة من الغَشيان، وهو التغطية، لأن ذلك اليوم يغشى الناس بشدته وروعته، فيستولي عليهم الهول والخوف. (١٧)

وقد اتفقت كتب التفسير – مثل تفسير الطبري، وابن كثير، والقرطبي – على أن سورة الغاشية جاءت لتؤكد إحدى أعظم حقائق الإيمان، وهي **الإيمان بالغيب**، وخصوصًا **الإيمان بالبعث والجزاء**، الذي كانت قريش تنكره ويجحده أغلب المشركين في المرحلة المكية. ومن هنا، فإن هذه السورة تخاطب الإنسان من حيث هو **كائن مسؤول عن عمله ومصيره**، وتدعوه للتفكر فيما ينتظره بعد الموت من حساب وثواب أو عقاب. (١٨)

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

ومن الناحية البلاغية، اتسمت السورة بأسلوب تحذيري وتعليمي، يجمع بين **الإنذار والبيان، والتذكير والتصوير** .فهي تُصور بألفاظٍ موجزةٍ ذات وقع شديد مآلات الكافرين، ثم ترتقي لتعرض نعيم المؤمنين، وتختم بنداء للرسول صلى الله عليه وسلم أن يُذكّر لا أن يُسيطر، مما يحمل رسالة تربوية عقدية واضحة في سياق الدعوة التوحيدية في العهد المكي. (١٩)

المطلب الاول: وصف يوم القيامة في السورة

تفتتح سورة الغاشية بمشهد بلاغي مهيب يصوّر يوم القيامة من خلال استفهام إنشائي تشويقي: **(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) (الغاشية: ١).** هذا الاستهلال ليس مجرد سؤال، بل هو مفتاح لمشهد غيبي عظيم يقرع الأسماع ويهزّ الوجدان، حيث يشير إلى واقعة كبرى مستقبلة، وهي يوم القيامة الذي "يغشى" الخلائق بأهواله وشدته. وقد ذهب المفسرون إلى أن "الغاشية" اسم من أسماء يوم القيامة، لأنها تغشى الناس بشدتها وشمولها، فلا تترك أحدًا إلا أحاطت به، (٢٠) يقول الإمام ابن كثير في تفسيره: "الغاشية من أسماء يوم القيامة، قاله ابن عباس وغيره. وسميت بذلك لأنها تغشى الناس وتعمهم" وبهذا فإن افتتاح السورة ليس استهلالًا لغويًا فحسب، بل هو تأسيس عقدي يرسخ الإيمان بيوم البعث بوصفه ركنًا من أركان العقيدة الإسلامية.

تنتقل السورة بعد هذا الاستهلال إلى وصف حال الفريق الأول من الناس، وهم الكافرون المعذبون في النار، مستخدمة صورًا حسية مرعبة تعكس شدة الموقف: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ * عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ * تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً * تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ * لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ * لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ) (الغاشية: ٢–٧).**

تصف هذه الآيات وجوه الكافرين بأنها خاشعة، أي ذليلة منكسرة، وهي دلالة على الخضوع القهري بعد طول استكبار في الدنيا. أما قوله "عاملة ناصبة" فقد فسّره الطبري بأنه تعبير عن معاناة هذا الفريق داخل النار، حيث يعملون في العذاب وهم مرهقون، لا على وجه النفع بل على وجه العقاب (الطبري، ٢٠٠١، ج٢٤، ص٢١٩). ويشير القرطبي إلى أن العمل هنا ليس عمل طاعة، بل هو تكليف داخل النار؛ إذ يُحمّلون فوق طاقتهم من أنواع العذاب والحركات المجهدة (٢١)

وتُتابع السورة رسم هذا المشهد بقوله: "تصلى نارًا حامية"، أي يُقاسون حرّ نار بلغت أقصى درجات الحرارة، وهو ما فسّره ابن كثير بأنه بيان لشدة الحرق وقوة الأذى. ثم يأتي وصف أدق: "تُسقى من عين آنية"، أي من ماء بلغ غاية الغليان والحرارة، بحيث لا يمكن شربه دون عذاب وألم. ويُكمل المشهد الغيبي وصف الطعام بقوله: "ليس لهم طعام إلا من ضريع"، وهو نبات خشن سام لا يُغني عن جوع ولا يُنبت لحمًا ولا يسمن جسدًا، بل هو زيادة في البلاء كما فسره أهل التفسير.

تمثل هذه المشاهد البصرية تصويرًا غيبيًا متكاملاً للعذاب الأخروي، وتُظهر شدة العقوبة التي أُعدّت لمن كفر بالله وبرسالة نبيه. واللافت في هذا العرض أن القرآن لم يكتفِ بإثبات العذاب، بل قدّمه بأسلوب تصويري موجَّه إلى العقل والوجدان، فالعذاب ليس فقط نارًا محسوسة، بل تجربة حسية متكاملة من إذلال، وتعب، وعطش، وجوع، ومعاناة لا تطاق و إن هذه الآيات تعبّر عن العدالة الإلهية التي توعدت المكذبين بالجزاء، وتربّي النفس المؤمنة على خشية الآخرة والاستعداد لها، حيث لا ينفع ترف الدنيا ولا سلطتها إذا لم يكن الإنسان مؤمنًا عاملاً للصالحات. فهي تحذير من مصير حتمي يُصوَّر بحسٍّ بياني يفوق كل خيال، مما يجعل من وصف يوم القيامة في سورة الغاشية وسيلة تربوية بليغة للتأثير العقدي والتوجيهي. (٢٢)

ولم تكتفِ السورة بوصف المشاهد المرعبة في أولها، بل ربطت ذلك بموقع النبي من هذه الدعوة، فذكّرت بأن مهمته ليست الإكراه، بل التذكير فقط، كما في قوله تعالى في خواتيم السورة: **(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ***

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية: ٢١–٢٢). يؤكد هذا المعنى أن وظيفة النبي دعوية لا سلطوية، وأن الجزاء موكول إلى الله، كما تُضيف الآيات الأخيرة: **(إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ * فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ * إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (الغاشية: ٢٣–٢٦).**

المطلب الثاني : العرض التصويري لأهل الجنة والنار

تُعدُّ **ثنائية الجنة والنار** من أبرز مظاهر العرض الغيبي في القرآن الكريم، وتأتي سورة الغاشية لتجسد هذه الثنائية بأسلوب تصويري متقابل، يستثير العقل والوجدان في آنٍ واحد. فبعد أن عرضت السورة حال أهل النار في الآيات (٢–٧)، انتقلت إلى تصوير حال المؤمنين وما أعدّه الله لهم من نعيم في الآيات (٨–١٦). هذا الانتقال ليس مجرد تدرّج بياني، بل هو **مقابلة متعمّدة بين المصيرين**، تؤكد أن الحياة الأخروية هي دار جزاء، وأن طريق الخير والشر يؤديان إلى نهايتين مختلفتين تمامًا. (٢٣)

١. تصوير نعيم أهل الجنة

يبدأ تصوير أهل الجنة من قوله تعالى :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً)** (الغاشية: ٨–١١). يعلّق ابن كثير على هذا المقطع بقوله: "المراد بها وجوه المؤمنين الذين أحسنوا العمل في الدنيا، فهم يوم القيامة في سرور ونضرة بسبب سعيهم الطيب"، ويؤكد أن "نعيم الجنة ليس ماديًا فحسب، بل نفسي وروحي أيضًا"

وصف الوجوه بأنها **"ناعمة** "يحمل دلالتين: الراحة الجسدية، والانشراح النفسي. وأما **"لسعيها راضية"**، فهي إشارة إلى أن المؤمنين يجدون يوم القيامة ثمرة أعمالهم، ويرون أن ما قدموه لم يذهب سدى، بل نالوا عليه الجزاء الذي يفوق التوقع. ويزيد المشهد بهاءً قوله" **:في جنة عالية"**، أي رفيعة المنزلة والمقام. يذكر الطبري (٢٠٠١) أن المقصود بعلو الجنة هو علو قدرها ومكانتها، فضلًا عن موقعها المكاني، ما يجعلها أرفع درجات النعيم . (٢٤)

ثم تأتي الآية **(لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً)** لتضيف عنصرًا نفسيًا فريدًا من عناصر النعيم، وهو **الهدوء التام وخلو المكان من الكلام الباطل أو المزعج**، مما يعكس السلام الداخلي الذي يغمر أهل الجنة. وقد أشار القرطبي إلى أن هذه السكينة هي من أعظم ما يُسكن به القلب . (٢٥)

٢. مشاهد النعيم الحسي والتخييل التصويري

تتابع السورة بعد ذلك في الآيات (١٢–١٦) وصفًا تفصيليًا لبعض مشاهد النعيم الحسي في الجنة، بأسلوب بلاغي يعتمد على **التخييل والتكرار التصويري**، لجعل المتلقي يتذوق النعيم عن طريق التخيل:

- **(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ)** :أي فيها نبع دائم الجريان، فيُشبع حاجة الإنسان للريّ والجمال. وقد جاء في حديث نبوي أن أنهار الجنة تجري من غير حفر، مما يزيد من روعة المشهد .
- **(فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ)** :والسرر هي الأسرّة المزينة، ومرفوعة إشارة إلى رفعة المقام والمكان، وتعظيم لأهل الجنة. يعلق الزمخشري على "مرفوعة" بأنها تشير إلى ارتفاعها معنويًا وماديًا (الكشاف).
- **(وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ)** :أي أواني الشرب قد أُعدّت وجُهزت للاستعمال الفوري، في دلالة على توفر النعيم دون عناء أو انتظار.
- **(وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ * وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ)** :النمارق هي الوسائد، والزرابي هي البُسط الفاخرة المفروشة بكثرة. هذا المشهد يعطي صورة بصرية دقيقة للراحة، والترف، والسعة في الجنة.

هذه الأوصاف ليست مجرد زينة لغوية، بل هي أدوات بلاغية متقنة تهدف إلى **تجسيد المعاني الغيبية بما يقارب الواقع المحسوس**، حتى يتمكن العقل من إدراكها بدرجة ما. فقد قُدّم النعيم في الجنة من خلال مشاهد ملموسة: مياه، أثاث، سكون، راحة، بما يتناسب مع فطرة الإنسان في حب الجمال والرغد.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

٣. التقابل بين الجنة والنار وأبعاده التربوية

إن العرض القرآني في سورة الغاشية يعتمد على **تقابل مرئي ومعنوي** بين حال أهل النار وأهل الجنة. ففي حين تبدأ السورة بمشهد وجوه الكفار **الخاشعة** من الذل، تعقبها وجوه المؤمنين **الناعمة** من الراحة والرضا. وإذا كانت النار **حامية** وشرابها **من عين آنية**، فإن الجنة فيها **عين جارية** وسرر مرفوعة ووسائد مبثوثة. هذه **المقابلة البلاغية** تُعمّق الأثر النفسي على القارئ، وتجعله يتأمل في مصيره الأخروي بجدّية، فتستقر في نفسه حقيقة أن **الجزاء من جنس العمل**، وأن الاختيار في الدنيا له نتائج لا رجعة فيها في الآخرة.

هذا العرض التصويري يحمل بعدًا **تربويًا عميقًا**، إذ لا يكتفي القرآن بذكر العذاب والنعيم كحقائق إيمانية، بل **يجعلها صورًا حية مؤثرة** تشحذ الإرادة نحو العمل الصالح. يعلّق الشعراوي بأن "عرض القرآن للجنة والنار بتفاصيلهما الدقيقة هو دعوة تربوية تهدف إلى تحريك السلوك قبل الإقناع العقلي." (٢٦)

المطلب الثالث : الأساليب البلاغية في عرض المشاهد الغيبية

إن الأسلوب القرآني في سورة الغاشية يجمع بين التقرير العقَدي والتأثير النفسي، من خلال جملة من الأساليب البلاغية التي تهدف إلى نقل مشاهد الغيب من عالم التصوّر إلى عالم الحضور الذهني والمعنوي. فليس الغرض من عرض الغيبيات مجرد الإعلام بها، بل تحريك الوجدان وتوجيه العقل نحو الإيمان والعمل. ومن أبرز هذه الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم في سورة الغاشية:

١ .الاستفهام الإنشائي التشويقي

افتتحت السورة بالآية: **(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ) (الغاشية: ١)**، وهو استفهام إنشائي يُراد به التشويق والتنبيه، لا الاستعلام. وقد ذكر العثيمين أن هذا النوع من الاستفهام يُستخدم لإثارة انتباه السامع إلى أمرٍ عظيمٍ سيُذكر، وكأنّه يُهيّئ الذهن والعاطفة لتلقي النبأ الآتي بكل حواسه. فالاستفهام هنا يُضفي على الحديث القادم طابعًا مهيبًا، ويُشرك السامع في المشهد وكأنه طرفٌ فيه. (٢٧)

ثم يتكرر الأسلوب الاستفهامي في النصف الثاني من السورة، في قوله تعالى: **(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ) (الغاشية: ١٧)**، وهو استفهام إنكاري يدعو إلى التأمل العقلي في مظاهر الخلق كدليل على قدرة الله تعالى على البعث. ويعدّ هذا الربط بين الآيات الكونية والمضمون الغيبي تأكيدًا على أن الغيب في التصور القرآني ليس غيابًا مطلقًا، بل هو مرتبط بأدلّة عقلية حسية لمن أراد أن يتفكر.

٢ .التكثير والتعداد التصويري

من أهم الأساليب البلاغية في سورة الغاشية التعداد التصويري، وخاصة في وصف الجنة والنار. ففي الآيات التي تصف النار، تأتي الصور متتابعة: وجوه خاشعة، عاملة ناصبة، تصلى نارًا حامية، تسقى من عين آنية، طعام من ضريع... (الغاشية: ٢–٧). وفي مشاهد الجنة: وجوه ناعمة، في جنة عالية، لا تسمع فيها لاغية، فيها عين جارية، سرر مرفوعة، أكواب موضوعة، نمارق مصفوفة، زرابي مبثوثة (الغاشية: ٨–١٦).

هذا التتابع السريع في الأوصاف يُحدث في النفس إيقاعًا تصويريًا داخليًا، وكأن القارئ أو السامع ينتقل من مشهد إلى آخر في تسلسل سينمائي تعبيري. ويؤكد ابن عاشور أن هذه الطريقة تُوظّف لا لنقل المعنى فقط، بل لإثارة الخيال وترسيخ المعاني في الذاكرة الحسية، مما يعمّق من وقع الغيب على العقل والقلب (٢٨).

٣ .المضادّات والتقابلات البلاغية

من السمات اللافتة في السورة هو أسلوب التضاد البلاغي بين مشاهد الجنة والنار، في تقابل واضح يُراد منه تحقيق الموعظة المؤثرة. فمثلًا، في مقابل: **(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ) (آية ٢) تأتي (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ) (آية ٨). وبين: (تُصْلَى نَارًا حَامِيَةً) و**(فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)، وبين (تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ) و(فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ).**

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

وهذا التضاد لا يهدف فقط إلى إبراز الفرق بين الجزاءين، بل يُسهم في ترسيخ مفهوم العدل الإلهي، ويمنح السورة بُعدًا تربويًا عميقًا، إذ يدعو المخاطب إلى الاختيار الواعي بين طريقين بيّنين، ويوقظ فيه الحافز الداخلي للعمل الصالح والفرار من الهلاك. (٢٩)

٤ .التوكيد والتعظيم في نهاية السورة

في خواتيم السورة، تظهر قوة الأسلوب البلاغي من خلال التوكيد على وظيفة النبي صلى الله عليه وسلم كمذكّر لا مسيطر:

(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ) (الغاشية: ٢١–٢٢). هذه الآية تؤكد أن الهداية ليست بالإكراه، وإنما بالتذكير والبيان، وأن الحساب والجزاء موكولان إلى الله تعالى. وتُعزَّز هذه الفكرة بالتوكيد اللفظي في الآيات التالية:

(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ) (الغاشية: ٢٥–٢٦)، حيث أُكّدت الحقيقة بأدوات التوكيد مثل "إن" و"علينا"، لتغرس في النفس الخشية من الله، واليقين بعدله وحسابه.

المبحث الثالث

الأبعاد العقدية والتربوية للغيبيات في السورة

تتناول سورة الغاشية فكرة يوم القيامة والأحوال الغيبية في الآخرة، فاتحةً بسؤال استنكاري» **:هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ** «(الغاشية: ١)، تعني "القيامة التي تُغشي الخلائق بأهوالها". وقد أوضح القرطبي أن الآية تقصد الأخبار بالبعث الذي يلفّ الكون أهوالاً وفزعاً. ويعلّق الطبري على لفظ "الغاشية" بأنها تنطبق على يوم القيامة أو على النار، فكلاهما "غاشية" تغشي الناس بالبلاء أو تغشى الكفار بلهيبها، فعمَّ الخبر بذلك كما عمَّه النص القرآني. وفي هذا مدعاة لعقد الإيمان بالغيب، إذ يشرح القرآن هنا وقائع لم يسبق اختباره بها البشر، معظّمًا الله بمجيء ذلك اليوم وحقيقة الثواب والعقاب. (٣٠)

<u>المطلب الأول: تأثير الغيب في تعزيز الإيمان بالبعث والجزاء</u>

تُعدّ الغيبيات المرتبطة بالبعث والجزاء من الركائز الأساسية في بناء العقيدة الإسلامية، حيث يُسهم الإيمان بها في ترسيخ اليقين في نفوس المؤمنين، وتحفيزهم للثبات على الطاعة والابتعاد عن المعصية. وفي هذا السياق، تأتي سورة الغاشية بوصفها نموذجًا قرآنيًا مميزًا يعرض مشاهد يوم القيامة عرضًا مؤثرًا يربط النفس البشرية بحقائق الغيب الكبرى، ويُقرّب لها أبعاد البعث والجزاء تصويرًا وإقناعًا. (٣١)

تفتتح السورة الكريمة بسؤال استنكاري توبيخي :**(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)** (الغاشية: ١)، لتستنهض الوعي السمعي والعقلي للمتلقي، وتلفت نظره إلى ما سيأتي من أخبار عظيمة تتعلق بيوم القيامة. وقد فسّر المفسرون "الغاشية" بأنها القيامة التي تغشى الخلائق بأهوالها، أو أنها النار التي تغشى الوجوه وتحيط بالكافرين، وهذا التعدد في المعنى يعكس شدة الموقف وشمولية العقاب.

ثم تنتقل السورة إلى تصوير حال الكافرين يوم القيامة، فتقول :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ)** (الغاشية: ٢)، أي ذليلة منكسرة، قد استولى عليها الذلّ والخوف من هول ما ترى، وهي خاشعة لا رفعة لها بعد ما كانت متجبرة في الدنيا. وقد أورد ابن عباس أن هذه الوجوه تخشع ولا ينفعها عملها، مما يدل على أن أعمالهم لم تكن مقبولة عند الله، لأنها لم تُؤدَّ بإخلاص أو على وفق الشرع.

وتُكمل السورة في وصفها لحالهم :**(تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً)** (الغاشية: ٤)، أي تدخل نارًا شديدة الحرارة، مُحاطة بها إحاطة تامة، ثم تصف مشربهم :**(تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ)**، أي من ماء بلغ أقصى درجات الغليان، يُلهب الجوف ولا يروي الظمأ. ويُطعمون من **الضريع**، وهو نبات شوكي من أكره ما يكون في المنظر والطعم، لا يسمن ولا يغني من جوع، إشارة إلى خلو هذا الطعام من أي فائدة تُرجى، كما جاء في وصف المفسرين له

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

بأنه رمز للقهر والعذاب [٣٢] ، تصوّر السورة حال المؤمنين لتوازن بين الترهيب والترغيب، وتقرّب المتلقي من حقيقة الجزاء العادل، فتقول :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ * لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ * فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)** (الغاشية: ٨–١٠)، وهي إشارات إلى الاطمئنان الداخلي الذي يملأ المؤمن يوم الحساب، حيث تظهر عليه علامات الراحة والرضا، ثم يدخل جنة عالية المقام، جزاءً لسعيه الخالص في الدنيا.

وقد فسّر ابن كثير هذه الوجوه بأنها مشرقة حسنة، يظهر عليها أثر النعيم والرضا، وقد حصلت على هذا المقام لما بذلته في الدنيا من جهد في الطاعة والصبر على التكاليف. كما توضح السورة بعد ذلك بعض مظاهر النعيم :**(لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً)**، فلا لغو ولا لغوٍ، بل سكينة وطمأنينة، تليها مشاهد حسية ترسخ صورة النعيم الأبدي في ذهن القارئ، مثل العيون الجارية، والسرر المرفوعة، والأكواب الموضوعة، والنمارق المصفوفة، والزرابي المبثوثة، وكلها ترمز إلى الراحة الأبدية والكمال في المتعة الحلال. [٣٣]

تختم السورة الكريمة بتأكيد إلهي حاسم لحقيقة المرجع والمآل، بقول الله تعالى :**(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم)** (الغاشية: ٢٥–٢٦)، فيُغلق الخطاب بالغيب المُطلق الذي لا شك فيه، وهو أن كل شيء ينتهي إلى الله، وأنه وحده صاحب الحساب، وهو بذلك يقطع كل احتمالات الإنكار أو التردد، ويجعل العقيدة بالغيب واضحة لا لبس فيها.

المطلب الثاني: وظيفة الغيبيات في بناء الوازع الداخلي للمؤمن

تُعد الغيبيات التي يعرضها القرآن الكريم، وبخاصة في سورة الغاشية، من أبرز الأدوات التربوية التي تلامس وجدان الإنسان وتؤثر في سلوكه الداخلي. فالحديث عن مشاهد يوم القيامة، وما يتخلله من وصف دقيق لأحوال الناس في الجنة والنار، لا يقتصر على ترسيخ العقيدة الإيمانية فحسب، بل يمتد ليؤدي دورًا مركزيًا في تربية الضمير الحي، وتكوين الوازع الداخلي الذي يُوجه سلوك الإنسان في السر والعلن.

في سورة الغاشية، تتجلى هذه الوظيفة التربوية من خلال توازن دقيق بين الترهيب والترغيب. فالمؤمن، حين يتلو آيات النعيم وما أعدّه الله تعالى لعباده الصالحين من جنة عالية ووجوه ناعمة وسرر مرفوعة وعيون جارية، يُغمر بشعور الرجاء في رحمة الله، ويطمئن قلبه إلى وعده الكريم، مما يدفعه إلى الاجتهاد في الطاعة والتسابق إلى الخيرات، رجاء أن يكون من أهل هذا المصير. [٣٤]

تقول السورة في هذا السياق :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ، لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ)**، وهي آيات تصور حالة نفسية عميقة يعيشها المؤمن، حيث ينظر إلى أعماله السابقة برضًا وطمأنينة، ويجني ثمرة جهده، فيرضى الله عنه ويرضى هو عن جزائه. وهذا الشعور بالأمان الأخروي يغذي في نفسه الطموح الروحي ويقوي عزيمته في الالتزام بشرع الله، حتى وإن لم يكن هناك رقيب أو حسيب من البشر، تتولى آيات الترهيب إثارة الخوف في النفس، من خلال عرض مشاهد العذاب المادي والنفسي الذي يلقاه الكافرون يوم القيامة. تقول السورة :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ، تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً، تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ، لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ)**، وهي آيات تهزّ كيان المتلقي، وتؤكد له أن مصير الكافرين ليس فقط عذابًا، بل هو خسرانٌ تام حتى في أهون مقومات الحياة. فالطعام لا يسمن، والشراب لا يروي، والمكان كله لهب ونار. هذا النوع من التصوير البليغ يغرس في المؤمن رهبة من الله، ويذكره دومًا بأن الحساب آتٍ، فيراقب نفسه في أقواله وأفعاله، ويبتعد عن مواطن الزلل.

وقد فسّر ابن كثير "الضريع" بأنه نبات من أقبح أنواع الطعام، لا نفع فيه، بل يحمل معنى القهر والإهانة؛ وهو بذلك يربط بين العمل الدنيوي الخالي من الإيمان وبين المآل العقابي في الآخرة، مما يغذي في المؤمن شعور المراجعة الدائمة لأعماله، ليس فقط من باب الأداء الشكلي، بل من باب الحضور القلبي والنية الصادقة. [٣٥]

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

ولا تقتصر التربية الغيبية في السورة على النعيم والعذاب فحسب، بل تتجاوزها إلى التربية الفكرية أيضًا. ففي قوله تعالى :**(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ)**، تبيّن الآية أن وظيفة النبي ﷺ هي التذكير، لا الإجبار، وأن الغيب هو وسيلة تحريك للقلوب لا للإكراه على الإيمان. وهذا الأسلوب من الخطاب يشكّل دعوة صامتة للمؤمن أن يقوم بدور المذكر في محيطه، وأن يكون الوازع الذي تلقاه من الغيب دافعًا لأن يكون قدوة للآخرين.

وتتواصل السورة في تعزيز هذا البناء النفسي من خلال أسلوب المقارنة بين حالتين متقابلتين. ففي قوله تعالى :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاظِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)**، يُعرض مشهد في غاية الرقة والسمو، حيث يُبشَّر المؤمنون بلحظة لقاء الله تعالى، وهي غاية الغايات في السعي الإيماني. هذه الصورة الغيبية ترفع همّة العابد وتمنحه رؤية سامية لحقيقة الدين وغاياته، فلا يبقى في طاعته دافعٌ مادي أو خوف من العذاب فقط، بل حبٌّ واشتياق لرضوان الله والنظر إلى وجهه الكريم ، تأتي الآيات :**(وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ، تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)**، لتعرض القلق والجزع والخوف من المستقبل الغيبي الذي ينتظر الكافرين. ويُقال في تفسير "باسرة" إنها عابسة قاتمة، و"فَاقِرَة" أي داهية عظيمة تُقصم الظهر. هذه الصورة تُربّي في المؤمن الخوف الإيجابي الذي يجعله يزن أعماله باستمرار، ويتحسب لعواقبها، فلا يتهاون ولا يركن إلى الأمن الكاذب. (٣٦)

لقد أدرك المفسرون أن الغيبيات في سورة الغاشية ليست مجرد معلومات عن الآخرة، بل هي أدوات تربوية فاعلة في تشكيل الضمير الإسلامي. إذ يستمد المؤمن من تلك المشاهد قدرًا من اليقظة القلبية التي تعينه على تجاوز فتنة الدنيا، وتجعله دائمًا حاضرًا في مراقبة الله، متيقنًا أن هناك يومًا لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المطلب الثالث: الغيب كأداة دعوية في خطاب السورة

تُوظّف سورة الغاشية الغيبيات توظيفًا بلاغيًا ودعويًا محكمًا، يجعل منها وسيلة فاعلة في مخاطبة الفطرة الإنسانية، وتحريك المشاعر، وتثبيت العقيدة. إذ لا تُقدّم الآيات الغيبية في هذه السورة على أنها مجرد إخبارات مستقبلية، بل تُعرض في سياق خطاب دعوي مباشر، يُخاطب العقول والقلوب، ويرتقي بالسامع من الإدراك الحسي إلى الوعي الغيبي الذي يثمر التزكية والإصلاح.

يبدأ البناء الدعوي في السورة من لحظته الأولى، من خلال الافتتاح الاستفهامي :**(هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ)** (الغاشية: ١)، وهو استفهام استنهاضي يُهيّئ النفس لسماع خبر عظيم. وفي هذا الأسلوب البلاغي إثارة لفضول السامع، ودعوة ضمنية للإنصات والاستعداد النفسي لتلقي مضمون الرسالة. وقد بيّن الطبري أن المقصود بـ"الغاشية" هو يوم القيامة، أو النار التي تغشى الناس، وكلتا الدلالتين تنطويان على مضمون دعوي غيبي يرتبط بالعقيدة والأثر العملي. (٣٧)

ثم تنتقل السورة إلى عرض الصور الغيبية للبعث والحساب، فتُقسم الناس إلى صنفين: صنفٌ خاشع ذليل، يدخل النار ويُذوق عذابها، وصنفٌ ناعم مطمئن، يُجازى بالجنة. هذه الثنائية لا تخدم فقط غرض التعليم العقائدي، بل تُشكّل عنصرًا مهمًا في بناء الخطاب الدعوي المؤثر، إذ تضع أمام السامع مآلين لا ثالث لهما، وتدعوه إلى أن يختار طريقه في الدنيا، على ضوء مصيره في الآخرة ومن أقوى المواضع الدعوية في السورة قوله تعالى :**(فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ)** (الغاشية: ٢١)، وهي آية تختزل منهج النبي ﷺ في تبليغ الرسالة.

فقد حمّله الله مسؤولية التذكير لا الإكراه، وأوكل إليه وظيفة التحفيز على التأمل في الغيبيات التي عرضها القرآن، دون أن يكون عليه إلزام الناس بها. وهذا يُبرز أن الغيبيات في السورة لم تُعرض بصيغة سلطوية قسرية، بل بصيغة خطابية توجيهية تُثير الحس الديني، وتُخاطب ضمير الإنسان وتدفعه للاختيار الحر في ضوء البينات.

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN-2536-0027

وتعزز السورة هذا الخطاب الدعوي الغيبي بأسلوب الاستفهام التأملي في قوله :**(أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ...)** (الغاشية: ١٧)، حيث تُربط الغيبيات الأخروية بالآيات الكونية الدنيوية، ليُدعى الإنسان إلى التأمل في بديع صنع الله، ومنه إلى إدراك عظمة الله وقدرته على البعث والحساب. هذا الانتقال من الحس إلى الغيب، ومن المشهود إلى الموعود، هو سمة بلاغية دعوية تميز القرآن، وتجعله يخاطب الإنسان على مستويين: مستوى العقل ومجال الإيمان. (٣٨)

وفي ختام السورة، يأتي التقرير الحاسم في قوله تعالى :**(إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ)** (الغاشية: ٢٥–٢٦)، ليؤكد أن الأمر محسوم لا مجال فيه للشك أو التردد، وأن الغيب الذي طُرح في الخطاب هو حقيقة يقينية ينبغي أن يُبنى عليها السلوك البشري في الدنيا. فالمصير الأخروي ليس خاضعًا للتوقع أو الترجيح، بل هو أمر محتوم، وهذا التقرير الختامي يجعل الخطاب الغيبي أداة دعوية حاسمة تستحث القلوب على التوبة والعمل والاستعداد ليوم الحساب.

إن تنوّع الأساليب البلاغية في السورة (الاستفهام، التقسيم، التصوير، التذكير، والخاتمة التقريرية) يجعل من الغيبيات وسيلة مركزية في الدعوة. فهي لا تُستخدم كعنصر تعليمي فقط، بل كأداة توجيهية تُحدث أثرًا نفسيًا، وتؤسس لمسؤولية ذاتية تجاه الإيمان والعمل، وتربط بين المعلوم والمحسوس وبين الغيب والمصير. (٣٩)

ويُلاحظ أيضًا أن الغيبيات في سورة الغاشية تخدم مختلف طبقات المجتمع: فهي تُخاطب العامة من خلال تصوير الجنة والنار، وتُخاطب المتفكرين من خلال ربط الغيب بالكون، وتُخاطب أصحاب القلوب الواعية من خلال الدعوة إلى التذكير لا القسر، وكل ذلك يُشكّل بنية متكاملة للدعوة تعتمد على الغيب كوسيلة إقناع وتحريك وجداني فعال.

وبذلك يتضح أن الغيبيات في سورة الغاشية ليست مجرد عناصر عقدية، بل هي بنية وظيفية في الدعوة القرآنية، تُسهم في الإقناع، وتُثير التأمل، وتبني المسؤولية الذاتية، وتجعل من العقيدة الغيبية حافزًا للإصلاح النفسي والاجتماعي. (٤٠)

الخاتمة :

بعد استقراء وتحليل مضمون سورة الغاشية، تبيّن بجلاء أن الغيبيات تمثّل محورًا أساسيًا في بنية الخطاب القرآني، لا سيّما في السور المكية التي ركّزت على ترسيخ أركان العقيدة في النفوس، وعلى رأسها الإيمان بالغيب. وقد جاءت سورة الغاشية كنموذج واضح لهذا التوجه، إذ انطلقت من إثارة وعي المتلقي بسؤال استنكاري عن "حديث الغاشية"، لتقوده عبر سلسلة من الصور الغيبية التي ترسم مشاهد يوم القيامة، وأحوال الناس فيه، وانقسامهم بين النعيم الأبدي والعذاب المهين.

كشفت الدراسة أن الغيبيات في السورة لم تُعرض بوصفها مجرد أخبار مستقبلية، بل جاءت بوظائف متعددة: فعقديًا، عمّقت الإيمان بالبعث والجزاء، وربطت بين العمل الدنيوي والمصير الأخروي؛ وتربويًا، ساهمت في بناء الوازع الداخلي للمؤمن، بتغذية الضمير بالرجاء والخوف، وتحفيزه على الاجتهاد في الطاعة وترك المعصية؛ ودعويًا، شكّلت أداة خطابية فعّالة خاطبت العقل والوجدان معًا، مستنهضة الهمم، ومؤكدةً على وظيفة النبي ﷺ في التذكير، دون إكراه أو تسلّط.

وقد أظهر التحليل الاستنباطي للنص القرآني أن التصوير البلاغي في السورة لعب دورًا مركزيًا في إيصال تلك المعاني الغيبية بصورة مؤثرة، سواء من خلال ثنائية الترغيب والترهيب، أو عبر أسلوب الاستفهام التأملي، أو تقرير المصير في الخاتمة. كما أثبتت أقوال المفسرين الكبار – من أمثال ابن كثير والطبري والقرطبي – عمق المعاني العقدية والتربوية الكامنة في كل مشهد غيبي ورد في السورة.

ISSN–2536–0027

وبناءً على ما تقدم، فإن هذه الدراسة تؤكد أن الغيبيات القرآنية ليست جزءًا هامشيًا في البنية النصية، بل هي عنصر أصيل في بناء العقيدة وتوجيه السلوك. ويُعدّ تناول سورة الغاشية بالتحليل الاستنباطي نافذة لفهم أعمق لوظيفة الغيب في الخطاب الإلهي، مما يُحتم على الباحثين والمربين والدعاة إعادة توظيف هذه المضامين في مجالات الدعوة والتعليم والتزكية، بما يواكب تحديات العصر ويُعيد ربط القلوب بمعاني الإيمان واليقين.

أولاً: الكتب الورقية

١. ابن منظور، محمد بن مكرم .(1993) *لسان العرب* .بيروت: دار صادر.
٢. الطبري، محمد بن جرير .(2001) *جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (تحقيق: أحمد شاكر). القاهرة: دار هجر.
٣. ابن كثير، إسماعيل بن عمر .(1999) *تفسير القرآن العظيم* (تحقيق: سامي السلامة). الرياض: دار طيبة.
٤. ابن عاشور، محمد الطاهر .(1984) *التحرير والتنوير* .تونس: الدار التونسية للنشر.
٥. الرازي، فخر الدين. (١٤٢٠ هـ) *التفسير الكبير* .بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط٣.
٦. القرطبي، محمد بن أحمد .(2003) *الجامع لأحكام القرآن* (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش). بيروت: دار الكتب العلمية.
٧. القرطبي، محمد بن أحمد .(2006) *الجامع لأحكام القرآن* (تحقيق: عبد الله التركي). القاهرة: مؤسسة الرسالة، ط٢.
٨. الشعراوي، محمد متولي .(1997) *تفسير القرآن الكريم* .القاهرة: مطابع أخبار اليوم.
٩. أبو زهرة، محمد .(1997) *العقيدة الإسلامية* .القاهرة: دار الفكر العربي.
١٠. البغوي، الحسين بن مسعود .(1997) *معالم التنزيل في تفسير القرآن* (تحقيق: محمد النمر وآخرون). الرياض: دار طيبة، ط٤.
١١. الجوزي، أبو الفرج .(2001) *نواسخ القرآن* (تحقيق: أبي عبد الله العاملي). بيروت: شركة أبناء شريف الأنصاري، ط١.
١٢. الألوسي، شهاب الدين محمود .(1995) *روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني* (تحقيق: علي عبد الباري عطية). بيروت: دار الكتب العلمية، ط١.
١٣. البيضاوي، عبد الله بن عمر. (١٤١٨ هـ) *أنوار التنزيل وأسرار التأويل* (تحقيق: محمد المرعشلي). بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١.
١٤. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن *أسرار ترتيب القرآن* .القاهرة: دار الفضيلة.
١٥. ابن المعتز، عبد الله .(1990) *البديع في البديع* .بيروت: دار الجيل، ط١.
١٦. الزبيدي، محمد مرتضى *تاج العروس من جواهر القاموس* (تحقيق: مجموعة من المحققين). بيروت: دار الهداية.
١٧. ابن جزي الكلبي، محمد بن أحمد. (١٤١٦ هـ) *التسهيل لعلوم التنزيل* (تحقيق: عبد الله الخالدي). بيروت: دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط١.
١٨. الفيروزآبادي، مجد الدين .(1999) *بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز* (تحقيق: محمد علي النجار). القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامي، ط٣.
١٩. الزحيلي، وهبة .(1998) *التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج* .دمشق: دار الفكر المعاصر.

ISSN–2536–0027

٢٠. ابن تيمية، أحمد .(1995) .*مجموع الفتاوى* (جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم). المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ثانيًا: المقالات المنشورة في مجلات علمية محكمة

١. عبد الحميد، عبد العظيم .(2009) .*الإيمان بالغيب في القرآن الكريم – دراسة تحليلية* .مجلة جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ١١(٢)، ٢١٥–٢٣٨.
٢. عبد الرحمن الجندي .(2020) .*المنهج التربوي في السور المكية* .مجلة العلوم الإسلامية، ١٦(٣)، ١٩١–٢١٤.
٣. د. مسلم بن سعيد العثيمين .(2024) .*توظيف الكوراني لمسائل علوم القرآن في تفسيره* .مجلة أبحاث، ١١(٤)، ١١٩٩–١٢٣٠.
٤. بن سليمان بن صالح الخضيري، أحمد .(2021) .*لطائف القرآن الكريم عند ابن عاشور جمعاً ودراسة* . مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، ٦(٢)، ١٥٣–١٨٦.
٥. احسان عبد القادر أبو قمر، سليمان الصرايرة .(2023) .*ابن كثير ومنهجه في كتاب البداية والنهاية* . سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ٣٨.(3)
٦. الخضيري، عبد الله بن سليمان بن أحمد .(2021) .*التفسير عند ابن كثير الدمشقي في كتابه "تفسير القرآن العظيم": دراسة تطبيقية*.

ثالثًا: رسائل علمية وأبحاث جامعية

١. مقدم، محمد .(2013) .*منهج الشعراوي في تفسير القرآن الكريم*) .يرجى تحديد ما إذا كانت رسالة ماجستير أو دكتوراه ومكان التقديم.(

رابعًا: مراجع دينية كلاسيكية ذات طابع موسوعي

١. الطبري، محمد بن جرير .(2001) .*جامع البيان عن تأويل آي القرآن* (تحقيق: أحمد محمد شاكر). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
٢. القرطبي، محمد بن أحمد .(1964) .*الجامع لأحكام القرآن* (تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش). القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢.
٣. القرطبي، محمد بن أحمد .(2006) .*الجامع لأحكام القرآن* .بيروت: مؤسسة الرسالة.

---

(١) الإيمان بالغيب لبسام العموش، ط دار المأمون، عمان، الأردن، عام ٢٠٠٩ م
(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم. (١٩٩٣). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
(٣) القرطبي، محمد بن أحمد. (٢٠٠٣). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. بيروت: دار الكتب العلمية.
(٤) الطبري، محمد بن جرير .(2001) .*جامع البيان عن تأويل آي القرآن* .تحقيق: أحمد شاكر. القاهرة: دار هجر
(٥) ابن كثير، إسماعيل بن عمر .(1999) .*تفسير القرآن العظيم* .تحقيق: سامي السلامة. الرياض: دار طيبة.
(٦) ابن عاشور، محمد الطاهر. (١٩٨٤). التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر.
(٧) المصدر السابق ص ٥٤
(٨) التفسير الكبير لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي ،الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي - بيروت.الطبعة: الثالثة / ١٤٢٠ ه
(٩) عبد الحميد، عبد العظيم. (٢٠٠٩). الإيمان بالغيب في القرآن الكريم – دراسة تحليلية. مجلة جامعة الأزهر، كلية أصول الدين، ١١(٢)، ٢١٥–٢٣٨.
(١٠) تفسير فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي، ط مطابع أخبار اليوم عام ١٩٩٧ م
(١١) محمد أبو زهرة. (١٩٩٧). العقيدة الإسلامية. القاهرة: دار الفكر العربي.
(١٢) عبد الرحمن الجندي. (٢٠٢٠). المنهج التربوي في السور المكية. مجلة العلوم الإسلامية، ١٦(٣)، ١٩١–٢١٤
(١٣) ابن كثير، إ. (٢٠٠٠). تفسير القرآن العظيم (تحقيق: سامي بن محمد السلامة). الرياض: دار طيبة للنشر والتوزيع

مجلة كامبريدج للبحوث العلمية: مجلة علمية محكمة
تصدر عن مركز كامبريدج للبحوث والمؤتمرات–العدد التاسع والاربعون – أيلول ٢٠٢٥– ربيع الاول ١٤٤٧
ISSN–2536–0027

(١٤) الطبري، م. بن جرير. (٢٠٠١). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تحقيق: أحمد محمد شاكر). القاهرة: مكتبة ابن تيمية.
(١٥) تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإيراهيم أطفيش، ط دار الكتب المصرية .القاهرة، ثانية، ١٣٨٤ه / ١٩٦٤م
(١٦) القرطبي، م. بن أحمد. (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: عبد الله التركي). القاهرة: مؤسسة الرسالة.
(١٧) البديع في البديع، لعبدالله ابن المعتز العباسي، دار الجيل، ط١، ١٤١٠ه -١٩٩٠م
(١٨) تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية
(١٩) التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي الكلبي الغرناطي، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي .دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، ط١، ١٤١٦ه
(٢٠) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٨). تفسير القرآن العظيم (تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الأولى). الرياض: دار طيبة.
(٢١) القرطبي، محمد بن أحمد. (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: عبد الله التركي، الطبعة الثانية). القاهرة: مؤسسة الرسالة.
(٢٢) التفسير الكبير، للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣، ١٤٢٠ ه
(٢٣) الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد القرطبي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط١، ٢٠٠٦م
(٢٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (١٩٩٨). تفسير القرآن العظيم (تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الأولى). الرياض: دار طيبة ص ٤٦
(٢٥) القرطبي، محمد بن أحمد. (٢٠٠٦). الجامع لأحكام القرآن (تحقيق: عبد الله التركي، الطبعة الثانية). القاهرة: مؤسسة الرسالة.
(٢٦) مقدم محمد. (٢٠١٣). منهج الشعراوي في تفسير القرآن الكريم.
(٢٧) مسلم بن سعيد العثيمين. (٢٠٢٤). توظيف الكوراني لمسائل علوم القرآن في تفسيره .*مجلة أبحاث*.1230-1199 ,(4)*11* ,
(٢٨) بن سليمان بن صالح الخضيرو أحمد. (٢٠٢١). لطائف القرآن الكريم عند ابن عاشور جمعاً ودراسة. مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بدمنهور، ٦(٢)، ١٥٣-١٨٦.
(٢٩) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦ه/١٩٩٥م
(٣٠) معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد .النمر وآخرون، دار طيبة، ط، ٤، ١٤١٧ ه-١٩٩٧ م
(٣١) نواسخ القرآن، لأبي الفرج الجوزي، تحقيق: أبي عبد الله العاملي، شركه أبناء شريف .الأنصارى - بيروت، ط١، ١٤٢٢ ه-٢٠٠١ م
(٣٢) معالم التنزيل في تفمير القرآن، الأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد .النمر وآخرون، دار طيبة، ط، ٤، ١٤١٧ ه - ١٩٩٧ م
(٣٣) احسان عبدالقادر أبو قمر و سليمان الصرايرة. (٢٠٢٣). ابن كثير ومنهجه في كتاب البداية والنهاية. سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ٣٨(٣).
(٣٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود الألوسي .تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٤١٥ ه
(٣٥) الخضيري، ع.ب.س.ب.أ (٢٠٢١). التفسير بالم التفسير عند ابن كثير الدمشقي في كتابه (تفسير القرآن العظيم) دراسة تطبيقية.
(٣٦) تفسير القرآن العظيم، لإسماعيل ابن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار .طيبة، ط٢، ١٤٢٠ ه - ١٩٩٩ م
(٣٧) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين الفيروزآبادى، تحقيق: محمد .علي النجار، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط٣، ١٤٢٠ ه- ١٩٩٩ م
(٣٨) الزحيلي، وَ. (١٩٩٨). التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. دمشق: دار الفكر المعاصر..
(٣٩) أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشليدار إحياء التراث العربي- بيروت، ط١، ١٤١٨ه
(٤٠) أسرار ترتيب القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي، دار الفضيلة